دور المسلمين السياسي والحضاري في أوروبا

(277 – 365هـ / 890 – 975م)

اعداد

أ.محمود مجلي

أخصائي دراسات الحضارة الإسلامية

بمركز دراسات الحضارة الإسلامية مكتبة الإسكندرية

مجلة الدراسات التربوية والانسانية . كلية التربية . جامعة دمنهور

المجلد الثالث عشر – العدد الثالث – لسنة 2021

دور المسلمين السياسي والحضاري في أوروبا (277 – 365هـ / 890 – 975م)

أ.محمود مجلي

المقدمــة

شهدت بلاد الغال وما جاورها محاولات عدة لفتحها منذ نجاح المسلمين في بسط سيطرتهم على شبه جزيرة أيبيريا، إذ انتهت باكورة تلك المحاولات بهزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء في عام (114هـ/ 732م)، ومقتل قائدهم عبد الرحمن الغافقي. غير أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد بل كانت هناك محاولات غير رسمية على يد جماعات صغيرة ومستقلة بعضها عن بعض، ومن هذه المحاولات تلك التي حدثت عام (277هـ/ 890م) عندما رست سفينة تحمل بعض البحارة الأندلسيين جنوبي شرقي فرنسا، في منطقة البروفانس "Provence"، واستقروا شمال مرسيليا، في أحد المواقع الجبلية المنيعة. وحين نجحوا في فتح ما حولهم من المناطق، توارد إليهم المؤيدون من الأندلس وشمال المغرب الإسلامي.

وعُرفت قاعدتهم في المصادر اللاتينية باسم: فراكسنيتوم "Fraxinetum, Fraximete, Fraxinet"، في حين تُعرف في الرواية الإسلامية باسم "جبل القلال" وكانت بمثابة دويلة عاشت حتى سنة (365هـ/ 975م) وبسطت سلطانها على مناطق في جنوبي فرنسا وشمال إيطاليا وسويسرا.

وقد أدى المسلمون دورًا متعدد الجوانب في تلك المناطق منها ما هو عسكري، ومنها ما هو سياسي، ومنها ما هو حضاري، فمن ضمن سياق ما سيتم معالجته من احداث في ثنايا محاور البحث يبين الدور العسكري المتمثل في استخدام المتمثل في استخدام أسلحة متطورة بالنسبة لفترة موضوع الدراسة، فضلًا عن انتهاج سياسة الهجمات الخاطفة، ومن ثَّم بروز الدور السياسي من خلال تلك الدبلوماسية التي تعامل بها القادة المسلمون مع قادة البلاد التي تمكنوا من مد نفوذهم إليها. وعلى ما يظهر أنهم كانوا على دراية بتلك المتغيرات السياسية، كما اتضح دور المسلمين في المجال الحضاري، حيث كانت لهم اسهامات حضارية في مجال الزراعة والصناعة

واكتشاف المعادن وما ترتب على ذلك من نهضة عمرانية نظرًا للرخاء الاقتصادي الذي حققه المسلمون في تلك المناطق التي سيطروا عليها.

والبحث يقع تحت عنوان(دور المسلمين السياسي والحضاري في أوروبا 277 – 365هـ/ 890– 975م)، وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول دور المسلمين العسكري والسياسي والحضاري في بلاد الغال وما جاورها بصورة كلية في فترة يكتنفها كثير من الغموض، وكان الهدف من تلك الدراسة إماطة اللثام عن كثير من جوانب ذلك الغموض هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن مبلغ علمي أن المكتبة العربية تفتقر إلى مثل هذه الموضوعات في التاريخ الإسلامي، ومن ثَّم أن فترة موضوع الدراسة لم تحظ بالاهتمام الكافي لدى الباحثين، وأن البحث يعد خطوة جديدة على درب الكتابات النادرة حول هذا الموضوع، ونبراسًا يستضيء به من شاء فيما بعد.

أما عن المنهج المتبع في معالجة موضوع البحث؛ منهج البحث التاريخي الذي يقوم على جمع المعلومات من مصادرها، وتصنيفها، وتحليلها تحليلًا تاريخيًا، وتحديد العلاقة بينها، ثم استخلاص أهم النتائج وتفسيرها.

أما عن الصعوبات التي واجهتني عند معالجة البحث فتمثلت في ندرة المصادر والمراجع الإسلامية، وعدم حيادية كثير من المراجع الأجنبية، الأمر الذي استلزم بذل مزيد من الجهد في معالجة هذا الموضوع.

قد قسمت البحث إلى ثلاثة محاور وخاتمة وملحق، وثبت بالمصادر والمراجع العربية والمصرية والأجنبية.

تناولت في **المحور الأول** محاولات المسلمين الأولى لفتح بلاد الغال وما جاورها (123هـ/ 741م)، ومن هذا المنطلق نرى أن هذا المحور وثيق الصلة بموضوع البحث على اعتبار أن استقرار المسلمين في تلك المنطقة كان نتيجة لتلك المحاولات.

وتناولت في **المحور الثاني** استقرار المسلمين في بلاد الغال وما جاورها خلال الفترة (276 – 330هـ/ 889 – 942م).

أما **المحور الثالث** انهيار نفوذ المسلمين في بلاد الغال وما جاورها في الفترة (332 – 665هـ/ 943 – 975م).

وقد أنهيت موضوع البحث بخاتمة، تضمنت أبرز ما توصلت إليه من نتائج، وأضفت ملحقًا، عبارة عن خريطة احتوت على مواقع البلاد التي تعرض لها موضوع البحث.

وزيلت البحث بثبت بأهم المصادر والمراجع.

المحور الأول : محاولات المسلمين الأولى لفتح بلاد الغال وما جاورها (123هـ / 741م)

قبل الحديث عن دور المسلمين السياسي والحضاري في أوربا، تجدر الإشارة إلى محاولات المسلمين للسيطرة على بلاد الغال وما جاورها، بعد معركة بواتييه أو بلاط الشهداء[1]، والتي انتهت بهزيمة المسلمين، واستشهاد قائدهم عبد الرحمن الغافقي على يد "شارل مارتل"، الذي حكم بلاد الغال بين عامي (114 – 124هـ/ 732 – 741م)[2].

بدأت تلك المحاولات المبكرة –عقب وفاة "شارل مارتل"؛ حين تمكن المسلمون من استعادة بيزيه وماجلون، ونيم وآجد، في حين لم يحرك القوط – حكام تلك المدن من قبل "شارل مارتل" – ساكنًا لمواجهة المسلمين[3] إلا أن الاضطرابات سادت الأندلس؛ في خضم الصراع المحتدم بين العرب والبربر، وكان من نتائجها مقتل عبد الملك بن قطن والي الأندلس[4].

---

[1] ابن عذارى أبو عبد الله محمد المراكش (ت بعد 712هـ/ 1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق د. س. كولان وليفي بروفنسال، 4 ج، بيروت (د. ت)، ج1، ص 51، ج2، ص 28؛ وابن الأثير الجزري أبو الحسن علي بن أبي الكرم الملقب عز الدين (ت 630هـ/ 1232م): الكامل في التاريخ 13ج، بيروت، 1965م، ج5، ص 175؛ والمؤلف المجهول: أخبار مجموعة، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، 1981م، وينتهي تاريخه بوفاة الخليفة عبد الرحمن الناس (350هـ/ 961م) "أخبار مجموعة"، مدريد 1967م، ص 31.

[2] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/ 1406م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 14ج، بيروت 1968م، م4، ج7، ص 256؛ أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت (د. ت)، ص 84–86.

[3] Lacam, J. Les sarazins dans le haut Moyen Age Fracais, Paris, 1965, p. 26.

[4] ابن القوطية، أبو بكر بن عمر (ت 367هـ/ 977م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، بيروت، 1982م، ص 140 – 141؛ وابن خلدون: مصدر سابق، ج5، ص 1250؛ والمقري (شهاب الدين أحمد بن محمد المقري): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، القاهرة، 1302هـ، ج2، ص 58.

ولم توقف تلك الاضطرابات محاولات المسلمين التغلغل داخل بلاد الغال وحسب، بل ترتب عليها كذلك ضعف سيادة المسلمين على مدن سبتمانيا التي سبق أن استعادوها. وقد أتاح ذلك للقوط الفرصة كاملة لإدارة تلك المدن[5].

وما شهدته البلاد الإسلامية من تقلبات سياسية، تمثلت في سقوط الخلافة الأموية في دمشق، وظهور الخلافة العباسية في بغداد (132هـ/ 750م)، ونجاح عبد الرحمن الداخل في تأسيس الإمارة الأموية في الأندلس، كانت هناك محاولات جادة من الأسقف "أنسيمندوس" و"ببين القصير" ملك الفرنجة؛ للقضاء على الوجود الإسلامي في جنوب بلاد الغال، غير أن تلك المحاولات العسكرية باءت بالفشل أمام صمود الحامية الإسلامية هناك، كما ساعدت المجاعة التي تعرضت لها بلاد الغال على استمرار الهيمنة الإسلامية على تلك النواحي[6].

ومن الأهمية بمكان أن نشير في هذا السياق إلى دور الحامية الإسلامية في ناربون[7] في الدفاع عن الوجود الإسلامي في جنوب بلاد الغال على مدى ثلاثة عقود، حتى أواخر حكم "ببين القصير"، الذي أدرك عجزه عن احتلال ناربون عسكريًا فلجأ إلى الحيلة، عن طريق استمالة سكان ناربون من القوط مستخدمًا كافة المغريات والوعود الزائفة، وقد حملهم ذلك على قتل أفراد الحامية الإسلامية؛ فسقطت ناربون، وانتهت السيادة الإسلامية على جنوب بلاد الغال[8].

ومات "ببين القصير" في (ذي الحجة 151هـ/ 24 سبتمبر 768م)، وخلفه ابنه "شارلمان" Charlemangne (151 – 199هـ/ 768 – 814م)، الذي أصبح ليلة عيد الميلاد من سنة

---

(5) Camau, E., La provence à travers les siècles, Paris, 1920, p. 226; Senac, Ph., Muslmans et Sarvasins, dans le Sud de Le Gaule, (VIII – XI Sicles), Paris, 1980, p. 26; Reinaud, J., invasions des Sarrazins en France, Paris, 1964, pp. 76 – 77.

(6) Senac, op. cit.,p. 27; Rey, G. De, Les Invasions de Sarrasins en Provence, Marseille, 1878, p. 60.

(7) Lacam, op. cit., p. 25.

(8) Henri Martin: Histoire de France, Paris, 1935, T. II, p. 193; Rey, op. cit., p. 60.

(800م) إمبراطورًا للإمبراطورية الرومانية الغربية المقدسة (184 – 199هـ/ 800 – 814م)[9].

والراجح أنه كان لسياسة "شارلمان" أبلغ الأثر في الحد من محاولات المسلمين التوغل داخل جنوب بلاد الغال والمدن الإيطالية، بل وقفت تلك المحاولات لفترة. وقد اتخذت هذه السياسة أشكالاً عدة، منها ما هو سلمي، كعرض "شارلمان" على عقد علاقات ودية مع الخليفة العباسي هارون الرشيد[10]. ومن جهة أخرى لجأ شارلمان إلى القوة لوقف غارات المسلمين على فرنسا وإيطاليا؛ إذ أنشأ مركزين بحريين مهمين غربي البحر المتوسط: أحدهما على طول ساحل ولاية الحدود الأندلسية، بعد أن استولى على طرطوشة وبرشلونة، والثاني على طول الساحل الشمالي الغربي لإيطاليا.

وفي مستهل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، كانت هناك قوات بحرية ذات كفاءة عالية على طول ساحل ليجوريا[11] وتوسكانا يستطيع بفصلها "شارلمان" السيطرة على المياه الإيطالية وغربي البحر المتوسط، ومجابهة الغارات البحرية على جنوبي بلاد الغال من قبل مسلمي الأندلس وأفريقيا[12]. كذلك حرص "شارلمان" على إعداد أسطول صغير مهمته الرسو قرب مصبات نهر الرون، والهيمنة على مدخل ذلك النهر البالغ الأهمية[13].

---

[9] Busquet, R., Histoire de Marseille, Paris, 1978, p. 56.

[10] السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب: العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2010م، ص 247 وما بعدها؛ عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1988م، ص 150.

[11] "ليجوريا" Ligurie منطقة تقع شمال إيطاليا، على خليج "جنوة" Genes، تشكلت منها مقاطعات: جنوة وامبريا Imperia وسافون savone وسبيزيا Spezia، وعاصمتها جنوة: Le Petit Larousse Illustré, Paris, 1996, p. 1470.

[12] Halphen, L.: Charlemagne et L'Empire Carolingien, Paris, 1968, p. 113.

[13] Camau, op. cit., p. 231.

واستكمالاً لسياسته الهادفة إلى قطع الطريق أمام محاولات المسلمين الدخول إلى الإمبراطورية الكارولنجية، أسس مملكة كارولنجية أكيتانية من مقاطعات بورج Bourges وبوردو وأوسن ونـاربون، وغَيَّر حكام أكتيانيا، وأسندها إلى ابنه "لويس" – الذي سيصبح ملكًا فيما بعد باسم "لويس التقي" – والجدير بالذكر أن تلك المملكة الوليدة ستؤدي دورًا كبيرًا في حماية بلاد الغال من الهجمات الإسلامية[14].

لكن أمام تلك التحصينات المحكمة، والتدابير القوية، والإجراءات الصارمة لحماية الإمبراطورية الكارولنجية من الهجمات الإسلامية، هل نجحت بالفعل في عرقلة المحاولات الإسلامية أم تخطي المسلمون تلك الموانع؟! تحدثنا المصادر الإسلامية والأجنبية عن حملة عسكرية ضخمة قادها عبد الواحد بن مغيث على جنوب بلاد الغال، وأنه صال وجال بقواته بين جيرون وناربون ثم كركصون[15].

وعلى الرغم من انشغال "شارلمان" بالحرب في آفار Avares، و"لويس التقي" في إيطاليا، تمكن "جيوم" حاكم تولوز من تكوين جيش ضخم قوي من الفرنجة، بيد أن عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث، تمكن من إلحاق الهزيمة به، وانسحب "جيوم" بقواته من المعركة، وغنم المسلمون غنائم طائلة؛ قبل أن يعودوا إلى الأندلس[16].

وأغلب الظن أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين استقرار الأوضاع السياسية للأندلس وجدية المحاولات الإسلامية للسيطرة على جنوب بلاد الغال وما جاورها، ومما يدفعني إلى تبني هذا الرأي، سياسة الكر والفر التي انتهجها المجاهدون المسلمون في جنوب بلاد الغال وما جاورها، وأنه على الرغم من إحراز المسلمين لانتصارات كبيرة هناك، وانشغال "شارلمان" بحروبه في أوروبا لم يستغل المسلمون هذه الفرصة، وانسحبوا عائدين إلى الأندلس.

---

[14] Senac, op. cit., p. 32.

[15] ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص 135؛ وابن عذارى: مصدر سابق، ج2، ص 64؛ وابن خلدون: مصدر سابق، م4، ج7، ص 221.

[16] ابن عذارى: المصدر السابق؛ Rey, op. cit., p.81.

والجدير بالذكر أن بعض الروايات التاريخية تفيد بانتهاج المسلمين سياسة مغايرة في مهاجمتهم لبلاد الغال، تمثلت في مباغتة بلدان الفرنجة بغارات بحرية[17].

وفي ضوء ما تقدم، أرى أنه منذ مطلع القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري كان لمجاهدي البحر الدور البارز في قيادة العمليات المسلحة ضد الإمبراطورية الكارولنجية، وأنها كانت مستقلة عن السلطة الحاكمة في الأندلس، دليل ذلك أنه على الرغم من عقد هدنة بين "شارلمان" وأمير قرطبة "الحكم بن هشام" لم تتوقف الهجمات البحرية[18].

ومن المحتمل أن يكون دخول "شارلمان" في هدنة مع "الحكم بن هشام" من قبيل الأمل في أن يكون له دور في الحد من خطر المجاهدين البحريين على بلاد شارلمان، وعلى الرغم من إبرام تلك الهدنة لم تتوقف حملات المجاهدين البحريين؛ ففي سنة (196هـ/ 812م) حاولوا فتح نيس Nice[19].

وفي العام التالي توالت هجماتهم، فاجتاحوا ولاية بروفانس وسواحل "سفيتافكشيا" Civita Vecchia، ودمروا "إيج مورت" Aigues – Mortes[20].

وعقب وفاة "شارلمان" سنة (198هـ/ 814م) واعتلاء ابنه "لويس التقي" (198 – 226هـ / 814 – 840م) العرش تواصلت هجمات المسلمين على جنوب بلاد الغال عام (198 – 200هـ/ 814– 816م)، وعادوا إلى الأندلس محملين بغنائم كثيرة[21].

ونظرًا للخبرة التي اكتسبها "لويس التقي" من عمله تحت إشراف أبيه لفترة طويلة، تمكن الفرنجة في عهده من التسلل إلى قشتالة، فسلبوا ونهبوا وقتلوا[22].

---

[17] Senac: op. cit., p. 37.

[18] نجاة محمد الطالبي: ما بعد بلاط الشهداء، ج1، صنعاء (1422هـ/ 2001م)، ص 214.

[19] Senac: op. cit., p. 38.

[20] نجاة محمد الطالبي: مرجع سابق، ص 215.

[21] ابن عذارى: مرجع سابق، ص 75.

[22] Reinaud: op. cit., pp. 136 – 137.

وقبل موت "لويس التقي" بعامين (224هـ/ 838م) جهز المسلمون حملة كبيرة، ساروا بها صوب مارسيليا، ودخلوا المدينة، وظفروا بغنائم طائلة، وأسروا أعدادًا غفيرة من أهلها[23].

ومات "لويس التقي" (226هـ/ 840م) وتفككت الإمبراطورية الكارولنجية نتيجة لاندلاع المواجهات الحربية بين أبنائه الثلاثة، وعلى أثر ذلك قُسِّمَت الإمبراطورية إلى ثلاث دول مستقلة، فرنسا وإيطاليا وألمانيا، وانتهى مصطلح (بلاد الغال)[24].

وواتت المسلمين الفرصة لاستكمال محاولاتهم في جنوب فرنسا وما جاورها، عندما استعان بهم الملك "ببين الثاني" في حربه ضد عمه "شارل الأصلع"، فرجحوا كفته وحققوا – في الوقت نفسه– فوائد جمة، تمثلت في الإغارة على السواحل الفرنسية والإيطالية بين عامي (234 – 236هـ/ 848 – 850م)[25].

ومنذ مطلع النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، اتخذت غارات المسلمين على جنوب فرنسا منحىً جديدًا، تمثل في اتخاذهم جزيرة "كمرج" قاعدة ومنطلقًا لهم –في تلك المنطقة– لهجماتهم الخاطفة، يؤكد ذلك ما ذكره المؤرخون من أن المجاهدين البحريين جعلوا جزيرة "كمرج" مرفأً محصنًا لتأمين أساطيلهم.

وحاول المسلمون –انطلاقًا من هذا الميناء الذي استحدثوه– التسلل إلى البلدان المجاورة، فشهدت تلك المناطق إغاراتهم المتكررة وكانت ضعيفة، لا تجد من يدافع عنها ويدرأ عنها الأخطار،

---

[23] نجاة محمد الطالبي: مرجع سابق، ص 221.

[24] Carpentier, J., Histoire de France, Paris, 1987, p. 411.

[25] نجاة محمد الطالبي: مرجع سابق، ص 225.

وكانت "كمرج" مأهولة بالسكان[26]، واستطاع المسلمون أن يتوغلوا حتى مدينة "آرل"، فهاجموها، وعادوا محملين بالأسرى والأسلاب، وكان ذلك في عام (256هـ/ 869م)[27].

ومما سبق يتبين أن المسلمين انتهجوا سياسة الكر والفر في هجماتهم على فرنسا وما جاورها، متفادين الوقوع فيما وقعوا فيه عقب معركة بلاط الشهداء عندما رغبوا في الاستقرار بجنوب فرنسا، ويمكننا القول بأن تلك المحاولات التي استمرت ما يزيد عن قرن ونصف بمثابة تمهيد للدور الحقيقي السياسي والحضاري للمسلمين الذين أدوه على مدار قرن من الزمان تقريبًا (277- 365هـ/ 890- 975م).

المحور الثاني: استقرار المسلمين في بلاد الغال وما جاورها خلال الفترة (276 – 330هـ/ 889 – 942م)

بعد استعراض إغارات المسلمين على سواحل فرنسا وما جاورها بعد معركة بلاط الشهداء عام (114هـ/ 733م)، وكيف انتهج المسلمون فيها سياسة الكر والفر، يجدر بنا أن ننتقل إلى المحور الثاني، الذي يندرج تحت عنوان " استقرار المسلمين في جنوب الغال وشمال إيطاليا وسويسرا وجزء من ألمانيا" ذلك الاستقرار الذي استمر لفترة تزيد عن ثمانين عام (276 – 366هـ/ 889 – 975م)، لاسيما وأن هذا الاستقرار كان نتاجًا لإحدى تلك المحاولات التي سبقت الإشارة إليها في المحور الأول.

---

[26] نجاة محمد الطالبي: مرجع سابق، ص 229؛

Benoit, F., Document Histoireues sur les Incorsions de Sarrasins et des Bartaresques en Camarque au Moyen âge, dans Revue Trunisienne, Tunis, 1932, pp. 301-306.

[27] Roux, J. P., Histoire et Civilisation de L'Islam En Europe, Italia, 1983, p. 33; Dufourq, Ch., E., La Vie Quotidienne dans L'Europe Médiévale sous la Domination Arabe, Paris, 1978, p. 26.

أما عن السمة السياسية التي اتسم بها هذا الاستقرار والتي تمثلت في أن المسلمين استطاعوا أن يكونوا دولة أم إمارة؛ فقد تناول المؤرخون تلك القضية على اساس وجود بُعد مكاني وزماني وشعب ومعاملات مع الشعوب المجاورة، سواء أكانت معاملات سلمية أم حربية[28].

وقد اختلف المؤرخون حول تحديد موقع جبل القلال، على اعتبار أن تلك المنطقة شكلت المنطلق الرئيس لتحركات المسلمين نحو بلاد الغال وما جاورها؛ فالمصادر الإسلامية تمدنا بمعلومات قليلة للغاية عنه وموقعه، وكتابات الإصطخري من أهم ما كتب في المصادر الإسلامية عن جبل القلال، وهو يقول: «وأما جبل القلال فإنه كان جبلاً فيه ماء وحرارة فوقع إليه قوم من المسلمين فعمروه، وصاروا في وجه الإفرنجة ما لا يقدر عليهم لامتناع مواضعهم، ومقداره في الطول يومان ...» [29].

كما أشار ابن حوقل إلى جبل القلال بقوله:

«ولجبل القلال [هكذا في الأصل، وصحتها القلال] الذي بنواحي إفرنجة بأيدي المجاهدين عمارة وحرث ومياه وأراضٍ تقوت من لجأ إليهم. فلما وقع إليه المسلمون عمروه، وصاروا في وجوه الإفرنجة. والوصول إليه ممتنع لأنهم يسكنون في وجه الجبل فلا طريق إليهم ولا متسلق عليهم إلا من جهة هم منها آمنون، ومقداره في الطول نحو يومين ...» [30].

---

[28] علي منتصر الكتاني: المسلمون في أوروبا وأمريكا، ج1، ص 169؛ ومحمود شاكر: موسوعة التاريخ الإسلامي، م22، ص 397 وما بعدها، وقد ذكرت الموسوعة الحرة باللغة الإنجليزية (ويكيبيديا) أسماءً عدة لقلعه جبل القلال بالعربية والإنجليزية مع الإشارة إلى أصلها باللاتينية على النحو الآتي:

بالعربية: فرخشنيط أو فرخسة، بالإنجليزية

- Fraxnet of Fraxinetum ? Farakhshanit or Farakhsha.

باللاتينية:

- Fraxinus: "ash tree", Fraxinetune: "ash Forest"

CF: en. M. Wikipedia. Org/wiki/Fraxinet.

[29] الإصطخري (أبو إسحق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي) (ت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي): المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيثي، القاهرة، 1961م، ص 51.

[30] ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل) (عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي): كتاب صورة

وكذلك أشار ياقوت الحموي إلى جبل القلال بقوله:

«الأَنْكَبُرْدة بالفتح ثم السكون، وفتح الكاف وضم الباء الموحدة وسكون الراء ودال مهملة وهاء، بلاد واسعة من بلاد الإفرنج بين القسطنطينية والأندلس تأخذ على طرف بحر الخليج في محاذاة جبل القلال ...»[31].

ويبدو أن ما ورد بالمصادر الإسلامية من خرائط لموقع جبل القلال، كان الأساس الذي اعتمد عليه المؤرخون الأوروبيون في تحديد موقع تلك الدولة، وكان هناك خلاف بين "فيليب سناك" و"ري" وحسم ذلك الخلاف "سناك" معتمدًا على خريطة ابن حوقل[32] حين توصل إلى أن المنطقة التي اشتملت على جبل القلال تتطابق تمامًا مع جبال المور[33].

وعلى سبيل الإجمال قبل التفصيل، ثمة عوامل مهدت السبيل أمام المسلمين الذين جابوا جنوب فرنسا مستكشفين، فاستقروا بجبل مور الحصين، وانطلقوا من خلاله لمواصلة فتوحاتهم في بروفانس وغيرها، باسطين نفوذهم على أعالي وديان جبل الألب وبروفانس[34]. ومن تلك العوامل الممهدة ما شهدته تلك المناطق من الاضطرابات والانقسامات، فضلاً عن تهديد اللمبارديين بإيطاليا لبروفانس وغيرها[35].

أما عن بداية تواجد المسلمين بتلك المنطقة، فقد بدأت بعشرين من المجاهدين البحريين الذين تمكنوا من النزول على ساحل خليج سان تروبيز Saint–Tropez سنة (276هـ/ 889م)[36]،

الأرض، بيروت، 1979م، ص 185.

(31) ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي) (ت 626هـ/ 1228م): معجم البلدان، ج5، بيروت (د. ت)، ج1، ص 273.

(32) Lacam, op. cit., p. 109; Rey, op. cit., p. 96; Senac, op. cit., pp. 42 – 45.

(33) Senac, op. cit., p. 45.

(34) Rey, op. cit., p. 49, 96.

(35) Lacam, op. cit., p. 102; IBID; Benoit, op. cit., p. 302.

(36) Poupardin, R.: Le Royaume de Provance sous les Carolingiens (855 – 944), Paris, 1901, p. 250, Note 2.

وبسطوا نفوذهم على قرية تروبيز المجاورة للشاطئ، ثم توغلوا في جبال المور[37]، ونجحوا في الوصول إلى قمم الجبال التي تشرف على الخليج من جهة الشمال، وتطل من جهة أخرى على جبال الألب، ومن ثم تمتد سلسلة جبلية أخرى متفاوتة الارتفاع تشرف على مقاطعة بروفانس.

وهكذا استقر هؤلاء المجاهدون المسلمون استقرارًا دائمًا وكان اتصال هذا الموقع بالبحر ييسر وصول الإمدادات إليهم عند الضرورة، وكذلك إمكان فتح المناطق المجاورة بسهولة، وبذلك تحول ذلك الموقع إلى قاعدة عسكرية.

وعلى أثر تلك النجاحات سنحت الفرصة لمواصلة الفتوحات إلا أنهم أدركوا أنهم في حاجة إلى من يعاونهم؛ فأرسلوا إلى مسلمي الأندلس وأفريقيا يحثونهم على اللحاق بهم والاستيطان في تلك القلعة الحصينة. ولقيت دعوتهم استجابة سريعة، إذ انضم إليهم أكثر من مائة مجاهد، انتهزوا فرصة الحرب الأهلية والاضطرابات في بروفانس لتثبيت أقدامهم فيها[38]. واستطاع المسلمون عبور جبال الألب واصلين إلى وديان إيطاليا الخصيبة[39].

ومن المرجح أن الأمر بالنسبة للمجاهدين المتمركزين بتلك المنطقة لم يعد مجرد مغامرة، والأكثر من ذلك أن تحركاتهم لم تنطلق من مجرد انتهاجهم لسياسة الكر والفر بل –حسبما ذكر المؤرخون الأوربيون– بل كانت انتطلاقًا من قاعدة، وتمركز، وسياسة منظمة ومدروسة اتخذوها رغبة ملحة في بسط النفوذ والتوسع.

وخير شاهد على ذلك أنهم نجحوا في السيطرة على المناطق المجاورة للقلعة بقصد تأمين مملكتهم، فسيطروا على جاسان Gassin ومور Maures وهرقلية كاكابريا Heraclea Cacabrria[40]. كما نجحوا في مد نفوذهم إلى فريجوس Frejus سنة (277هـ/ 890م)[41] وبذلك فقد تمكنوا من فرض سيادتهم على أعالي مقاطعة بروفانس[42].

---

[37] Rey, Op. cit., p. 97.

[38] Poupardin, R.: Le Royaume de Bourgogne (888 – 1038), Paris, 1907, p. 89.

[39] Rey, Op. cit., p. 100; Senac, op. cti., p. 50.

[40] Roux, op. cit., p. 33; Dufourq, op. cit., p. 26.

[41] Lacam, op. cit., pp. 102 – 104; Guth, P., Histoire de la Douce France, Paris, 1968, p. 352.

[42] Poupardin, R., Bourgogne, op. cit., p. 104.

ولعل عدم استقرار الأوضاع السياسية بمقاطعة بروفانس وتحرك المجاهدين المدروس، والتخطيط المحكم، والنتائج التي أحرزوها، وما أسفرت عنه من توافد عدد أكبر من المجاهدين من الأندلس وشمال أفريقيا، كان له أبلغ الأثر في تواصل الفتوحات الإسلامية؛ ففي عام واحد – هو عام (278هـ/ 891م) استطاع المجاهدون أن يبسطوا سلطانهم على الحدود الإيطالية، بعد فتح أودية بيفيرا Bevera وروريا Roya وفج جبل أورس Ours وفج جبل جيجياس Guggias، ثم فتحوا قرية أوليفولا Olivula[43]، وشيدوا قلعة فراكسنيت، قبل أن يواصلوا فتوحاتهم مسيطرين على قرية أولبيا Olbia وتورنتم Touroentum، وكذلك امتد نفوذهم إلى مدينة فينس Vence[44].

ويسرت الظواهر الطبيعية على المسلمين مواصلة بسط السيادة والنفوذ على جبال الألب وأجزاء واسعة من إيطاليا حتى نهر الرون وجنوب نهر دورانس، ومن ثم تمكنوا من السيطرة على جلنديف Galandeves، وسينيه Sense ورييه Riez. ومما يجدر ذكره انتقال مقاطعة فار Var عاصمة إقليم بروفانس إلى حوزة المجاهدين، فأصبح الطريق ممهدًا لفتح مدينة منسك Manosque، وعقب فتح تلك المدينة بسط المسلمون سيادتهم على المجرى الأدنى لنهر دورانس، وعلى الأراضي المجاورة له. وفي عام (283هـ/ 869م) استطاع المسلمون أن يفتحوا مدينة آبت Apt، وفي عام (299هـ/ 911م) تمكنوا من مد نفوذهم إلى مدينة سيسترون Sisteron[45].

وفي عام (304هـ/ 916م) سقطت المدن الآتية في يد المسلمين: بيمون Peimon، وتوران Turin، وسوز Suse، وسافوا Savoie ثم إمبران Embrun[46].

كما استطاع المسلمون أن يستحوذوا على ممرات جبال الألب الموصلة إلى إيطاليا[47].

---

(43) نجاة محمد الطالبي، مرجع سابق، ص 244.

(44) Rey, op. cit., p. 105; Senac, op. cit., p. 50.

(45) نجاة محمد الطالبي، مرجع سابق، ص 244 – 246.

(46) Poupardin, R.:

1- La Royaume de Provence sous les carolingiens (855- 933), Paris, 1901.

2- La Royaume de Bourgogne (88 – 1038), Paris, 1907, p. 235.

ومما تجدر الإشارة إليه أن معظم المؤرخين يحصرون رواياتهم في بسط المسلمين نفوذهم على جنوب فرنسا وما جاورها دون الإشارة إلى الدور الحضاري الذي أدته الدولة الإسلامية في تلك المنطقة التي سبق أن أشرنا إليها، حيث أن إحدى الروايات التاريخية أفادت بتوصل المسلمين لمناجم الجديد بالقرب من جبال الألب، واستغلالهم إياها في الصناعة، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على استقرارهم في تلك الجهات وقدرتهم على الإفادة من ثرواتها[48].

وعلى أي حال، فإنه بسيطرة المسلمين على ممرات جبال الألب، أصبح الطريق مفتوحًا أمامهم للتوسع في إيطاليا، ومنها إلى سويسرا وجزء من ألمانيا[49].

ومن خلال ما ورد عن فتوحات المسلمين على مدار أعوام كثيرة، تربو عن ثلاثين عامًا، يمكن القول بأنه كانت هناك عوامل أسهمت في نجاح تلك الفتوحات، لعل منها ما يتعلق باندماج المسلمين مع سكان البلاد المفتوحة، وعدم إرغام أهلها على اعتناق الإسلام، كما أدى هذا الاندماج إلى نشوء علاقات اجتماعية بين الطرفين كان من أبرز صورها التزاوج بين المسلمين وأهل البلاد المفتوحة؛ نظرًا للتسامح الذي أبداه المسلمون مع سكان تلك البلاد[50].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل ضرب المسلمون أروع الأمثلة في حسن استثمار المتاح في خدمة الصناعة وزراعة الأرض[51].

ومع هذا الاندماج وتلك المصاهرة بين المسلمين وسكان البلاد المفتوحة، لم يستمر الأمر طويلاً؛ إذ سرعان ما تحرك الأساقفة وجيشوا الجيوش للحد من تغلغل النفوذ الإسلامي في أوروبا، ولعل تقبل بعض الأوروبيين للسيادة الإسلامية أقلق أساقفة فرنسا وإيطاليا، الأمر الذي جعلهم يفتحون خزائنهم ويغدقون الأموال لإعداد تلك الجيوش ضد المسلمين، غير أن الفوضى

---

[47] Senac, op. cit., p. 51; Rey, op. cit., p. 117.

[48] نجاة محمد الطالبي، مرجع سابق، ص 250.

[49] Bourgne, op. cit., p. 91; Rey, op. cit., p. 119.

[50] Rey, op. cit., pp. 150 – 151.

[51] Lacam, op. cit., p. 120, N. 1.

الناجمة عن الصراعات بين الأمراء في إيطاليا وغيرها من جهة[52]، وانهماك الإمبراطور "هيج" في مواجهة الأعداء الجدد المتمثلين في الهنغاريين Hongrois من جهة أخرى حال دون تحقيق رغبة أولئك الأساقفة.

والذي دفعني لتبني هذا الرأي، ما حدث عام (329هـ/ 940م) حين نجح المسلمون في بسط نفوذهم على دير "سان موريس" Saint Maurice في فالي Valais، وقطعوا بذلك كل اتصال بين فرنسا وإيطاليا، وأصبحوا يتحكمون تحكمًا تامًّا في الممرات والمضايق التي تؤدي إلى روما، كما تمكنوا من استعادة فريجوس للمرة الثانية في العام نفسه[53].

ومن المرجح أن مواصلة المسلمين لفتوحاتهم شكل ضغطًا كبيرًا على الأساقفة، الذين حاولوا بدورهم الضغط على الإمبراطور الكارولنجي لوقف التوسع الإسلامي في أوروبا.

كما أن هناك عاملاً لا يقل أهمية عن سابقه، أسهم في أن "هوجو" فكر جديًا في مواجهة الدولة الإسلامية هناك، تمثل في تأثر بعض المدن الإيطالية مثل "أمالفي" Amalfi و"نابولي" Naples بالمد الإسلامي الذي أدى إلى ضعف النشاط التجاري لتلك المدن، مما دفعها إلى الاستنجاد بالدولة البيزنطية، ويبدو أن الإمبراطوريتين البيزنطية، والكارولنجية تحالفتا في هذا الصدد[54].

وتمثل الدور الكارولنجي في إعداد حملة برية، بينما جهز البيزنطيون حملة بحرية، وقد تم التحالف –فعليًا– عام (330هـ/ 941م) [55]، وفي العام التالي اتجه "هيج" على رأس حملة برية من إيطاليا إلى قلعة جبل القلال الإسلامية، في الوقت الذي تحرك فيه الأسطول البيزنطي بحرًا، ليوجه هذا التحالف ضرباته برًا وبحرًا للمسلمين الذين في القلعة.

---

[52] Vasiliev, Byzance et les Arabes, Brauxelles, 1968, p. 235.

[53] Dufourq, op. cit., p. 353; Bourgogne, op. cit., p. 91, N. 3; Roux, op. cit., p. 33; Vasilieve, IBID, T. 11, p. 291.

[54] أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، 1968م، ص 271 – 272.

[55] أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة، 1960م، ص 234.

وأمام ضراوة القتال ترك المسلمون القلعة وتحصنوا بالجبال المجاورة، حتى ظن "هيج" أن المعركة قد آتت ثمارها، غير أن الأحداث التالية أثبتت عدم حنكة الإمبراطور الكارولنجي، وأنه لم يحسن الإفادة من نتيجة المعركة؛ حين استغل منافسه "برنجيه" Béranger الفرصة، وانحاز إلى المسلمين وكانت له دويلة في جبال الألب بين فرنسا وإيطاليا، واستطاع "برنجيه" أن يحرز النصر على "هيج"، ففتح هذا النصر الطريق أمام المسلمين لاستعادة قلعة جبل القلال والممالك التي كانت في حوزتهم، كما عادوا وتحكموا في ممرات جبال الألب بين فرنسا وإيطاليا، وقد أسهم ذلك في إطالة عمر الدولة الإسلامية لثلاثة عقود أخرى[56].

مما سبق يتبين أن ثمة عوامل أسهمت في استقرار المسلمين في جنوب بلاد الغال وما جاورها، تمثلت في استقلال المسلمين الذين قامت الدولة على أكتافهم، وكذلك التسامح الذي أبداه المسلمون تجاه أهل البلاد المفتوحة أدى إلى تسهيل التعايش والاندماج، وهناك عامل ثالث، تمثل في عدم اقتصار اهتمام المسلمين بالشأن الجهادي أو السياسي، بل تعدوا ذلك وتجاوزوه إلى الاهتمام بالجوانب الحضارية، لاسيما ما يتعلق باستخراج المعادن واستغلال المناجم، وممارسة الزراعة والصناعة. أدى ذلك كله إلى الاستمرار مدة تزيد عن ثمانين عامًا.

والجدير بالملاحظة أن الفوضى السياسية الناجمة عن الصراعات والمنافسات في أوروبا كانت سببًا في استمرار الدولة الإسلامية، إلا أن هذا العامل لم يكن السبب المباشر لذلك؛ فعلى الرغم من تحالف الإمبراطوريتين الكارولنجية والبيزنطية ضد المسلمين في أوروبا، لم يحقق التحالف أهدافه، واستمرت الدولة الإسلامية ثلاثة عقود أخرى، فلم تسقط إلا عام (365هـ/ 975م)، على نحو ما سنناقشه في المحور الثالث.

---

(56) Reinaud, op. cit., p. 180; Rey, op. cit., pp. 157 – 158; Senac, op. cit., p. 52; Levi Provencal: Histoire du L'Espagne Musulmane, Leyde, 1932, 2 vols, T. 11, pp. 160- 161.

المحور الثالث: انهيار نفوذ المسلمين في بلاد الغال وما جاورها في الفترة (332 – 365هـ/ 943 – 975م)

أكدت الأحداث –في المحور السابق– على أنه كانت هناك محاولات جادة وجهود متضافرة للقضاء على الدولة الإسلامية في بلاد الغال وما جاورها، بيد أن تلك المحاولات باءت بالفشل نظرًا لقدرة المسلمين –في أوروبا– على التأثير في المجتمعات التي سيطروا عليها، وخير شاهد ودليل على ذلك، أنه على الرغم مما بذله الأباطرة الكارولنجيون من جهود مضنية للقضاء على الدولة الإسلامية هناك، صمدت ثلاثين عامًا أخرى، وهو ما يؤكد ما ذهبنا إليه من ارتباط المسلمين بالشعوب الأخرى والتعايش السلمي بين الطرفين.

وفي سبيل تحقيق الغاية التي طالما كانت حلمًا يداعب خواطر أساقفة أوروبا وملوكها، القضاء على الدولة الإسلامية انتهجوا وسائل عدة، تجلت في استخدام الحيلة تارة والدبلوماسية تارة أخرى. بدا ذلك واضحًا عندما حاول الإمبراطور الكارولنجي "هيج" الوقيعة بين مسلمي جبل القلال أو الهنغاريين؛ كي يتسنى له مواجهة كل طرف على حدة؛ وليتمكن من إلحاق الهزيمة بالقوتين بسهولة[57]، وقد أفادت الروايات التاريخية بفشل تلك المحاولة أمام قوة جأش المسلمين[58].

ولما اعتلى "أوتو الأول" عرش الإمبراطورية الكارولنجية انتهج أسلوبًا مغايرًا بغرض إضعاف المسلمين، تمثل في الدبلوماسية، عندما بعث سفارة إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر عام (342هـ/ 953م) لوقف الدعم اللوجيستي لمسلمي إمارة جبل القلال

---

[57] نجاة محمد الطلبي: مرجع سابق، ص 266.

[58] Rey, op. cit., p. 165.

من الأندلس، بيد أن الأخير أكد على أن الأندلس لا تدعمهم بالفعل، ورد على السفارة بسفارة إلى "أوتو الأول" بهذا الخصوص[59].

وعلى أي حال، أبدى قادة الدولة الإسلامية تفهمًا لحقيقة ما آلت إليه الأمور، لاسيما بعد أن دخل "أوتو الأول" في علاقات طيبة مع عبد الرحمن الناصر، الأمر الذي دفعهم إلى التشبث بالحرص على عدم فتح جبهة أخرى للمواجهات الحربية بينهم وبين البيزنطيين، ظهر هذا جليًا عندما أدى التوسع الإسلامي في إيطاليا إلى تحجيم النشاط التجاري للبيزنطيين، وترتب على ذلك أن شن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع حملة عسكرية ضدهم، لم تسفر عن شيء، اللهم إلا عقد الصلح بين الطرفين عام (345هـ/ 956م)[60].

ويمكن للباحث أن يتكهن ببداية نهاية الدولة الإسلامية منذ عام (349هـ/ 960م)، عندما استطاع الفرنسيون إجبار المسلمين على الجلاء عن مضايق جبل سان برنار[61] فانتهت السيادة الإسلامية على الطرق الموصلة بين سويسرا وإيطاليا، وبين إيطاليا وما وراء جبال الألب من بلاد أوروبا. وفي الوقت نفسه تمكن "إسرن" Isran أسقف جرونبل Gronoble من استعادتها من أيدي المسلمين[62].

ولعل الدافع إلى ذلك التكهن ببدء تقلص نفوذ المسلمين، الذي يرجع –في تقديري– إلى الأثر الواضح للسفارات المتبادلة بين "أوتو الأول" و"عبد الرحمن الناصر". ومع قلة الدعم لمسلمي إمارة جبل القلال استمرت خمسة عشر عامًا أخرى، على الرغم من تتويج "أوتو الأول" إمبراطورًا للدولة الرومانية المقدسة؛ إذ أسهمت عوامل عدة في بقائها، أهمها الصراعات بين أمراء المدن الإيطالية، ولجوء أحدهم –ويدعى "برنجيه" Bérenger – إلى المسلمين يستقوى بهم على "أوتو

---

[59] Poupardin, Bourgogne, pp. 94 – 95.

[60] السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، بيروت، 1982م، ص 426.

[61] Rey, op. cit., p. 165.

[62] Lacam, op. cit., p. 105; Levi-Provencat, T. 11, op. cit., p. 161.

الأول"[63]، وكان هذا مما حال دون تحقيق "أوتو الأول" لبغيته المتمثلة في القضاء على ذلك التحالف ومن ثم القضاء على الوجود الإسلامي في تلك المنطقة[64]، وساعد ذلك على تأخر سقوط الدولة الإسلامية لعدة سنوات.

ومما تجدر ملاحظته بأنه كان من الممكن أن تستمر الدولة الإسلامية أكثر من ذلك، بيد أن حدثًا جللاً كان له أبلغ الأثر في تغيير مجريات الأمور في ذلك الوقت؛ إذ هاجمت مجموعة من المسلمين قافلة ن الحجاج المسيحيين، على رأسهم القديس "مايول"، أثناء عودتها من روما، وأسروا من فيها[65]؛ فما إن علم الأساقفة في بروفانس بهذا الأمر حتى ثارت ثائرتهم، واستغلوا الموقف أيما استغلال؛ فشحذوا الهمم ضد الوجود الإسلامي، وأججوا المشاعر، لاسيما وأنه كانت للقديس "مايول" مكانة كبيرة في نفوس الأهالي، وقد أدى ذلك إلى اكتساب تعاطفًا كبيرًا من "جيوم" دوق مقاطعة آرل، ثم ابنه "جبلان"، اللذان قادا –الواحد تلو الآخر– حملة كبيرة على قلعة جبل القلال الإسلامية، وبعد حصار دام عامين (363– 365هـ/ 973 – 975م) تمكن الأوربيون من القضاء على آخر معاقل الدولة[66].

وكان لعدم استقرار الأوضاع السياسية بالأندلس أثره الفعال في غياب الدعم اللازم والإمداد الكافي للمسلمين هناك، وهو ما لم يمكنهم من الصمود أمام حصار جبلان بن جيوم[67].

والجدير بالذكر أن هناك تضاربًا في الروايات التاريخية حول نهاية النفوذ الإسلامي في بلاد الغال وما جاورها؛ فمن المؤرخين من رأى أن نهاية نفوذها كان عام (362هـ/ 972م) [68]،

---

[63] Poupardin, Bourgogne, op. cit., pp. 37 -3 9.

[64] Lacam, op. cit., p. 104.

[65] Amarguier, P. A., La Capture de Saint Maieul de Cluny et L'expulsion des Sarrasins de Provence, dans Revue Benedietine, T. LXXIII, 1963, p. 321.

[66] Lacam, op. cit., pp. 142 – 143; Rey, op. cit., p. 184.

[67] ابن عذارى: مصدر سابق، ج2، ص 233 –253؛ أحمد مختار العبادي: مرجع سابق، ص 210–222.

ومنهم من رأى أن النهاية هو عام (373هـ/ 983م) [69]، بينما لم تحدد إحدى الروايات سنة بعينها سقطت فيها الدولة الإسلامية؛ إذ ذكرت أن سقوطها كان في (النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)[70]، كما ذكرت إحدى الروايات أن ذلك السقوط كان عام (363هـ/ 973م)[71]، إلا أن الراجح –في هذا الصدد– أن نهاية نفوذ الدولة الإسلامية كان عام (365هـ/ 975م)[72].

---

[68] كيليا سازيللي تشركوا: مجاهد العامري قائد الأسطول في غربي البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري، القاهرة، 1961م، ص 158.

[69] Manteyer, La Provence du 1er auxllem Siècles, Paris, 1908, pp. 237 – 250.

[70] Bourdon, L., Les Voyages de Saint-Maieul en Italie, dans Mélanger d'Archéologie et d'Histoire, Paris, 1926, p. 88.

[71] شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، ص 258.

[72] Amarguier, op. cit., pp. 322 -323.

الخاتمــة

من خلال ما تمت معالجته من أحداث في ثنايا البحث الراهن، يمكنني التوصل إلى بعض النتائج المهمة، التي من أبرزها استقرار المسلمين بجنوب بلاد الغال وما جاورها لم يكن مجرد صدفة ومغامرة قام بها عشرون من البحارة المسلمين كما صورها كثير من المؤرخين، ودليل ذلك عدم انقطاع المحاولات الإسلامية لتثبيت أقدام المسلمين بجنوب فرنسا وما جاورها، لاسيما بعد هزيمتهم في موقعة معركة بلاط الشهداء.

كما يمكن القول أن سياسة الكر والفر التي انتهجها المسلمون كانت عاملاً مهمًا، وأنه أتاح الفرصة أمام المسلمين لتأسيس دولتهم، على أساس أن الأباطرة الكارولنجيين تعودوا على أن المسلمين عازفون عن الاستقرار بفرنسا وما جاورها من البلاد الأوروبية.

ومن النتائج التي أمكن التوصل إليها، أنه كان لسياسة السلم والتسامح –التي انتهجها المسلمون– أكبر الأثر في استمرار الحكم الإسلامي هناك لفترة طويلة زادت عن ثمانين عامًا، على عكس ما ورد في المصادر الأجنبية من انتهاج المسلمين لسياسة العنف تجاه أهل البلاد المفتوحة، وأكبر دليل يدحض تلك المزاعم، ذلك الارتباط الوثيق بين المسلمين والسكان الاصليين، الذي بلغ حد المصاهرة فضلاً عن تعرف سكان البلاد التي فتحها المسلمون على الوجه الحضاري لهم، وبالأحرى المساهمة الفعالة في النهضة الاقتصادية في المجالات الزراعية والصناعية والتجارية، ومن ثم في المجال العمراني.

ومن النتائج التي أمكن التوصل إليها أيضًا أن التغلغل الإسلامي في أوروبا أدى إلى إثارة حفيظة الأساقفة والبابوات والأباطرة، الأمر الذي حملهم على أن يكثفوا الجهود، ويستخدموا القوة للقضاء على الدولة الإسلامية.

وقد استغلوا –في ذلك– بعض الحوادث الفردية لشحذهم المجتمع الأوروبي ضد المسلمين، لاسيما حادث أسر القديس "مايول"، الذي ما إن أُطلق سراحه حتى دعا إلى حملة صليبية ضد

الجود الإسلامي، وسرعان ما تبنى تلك الدعوة الأساقفة وقادة المقاطعات التي سيطر عليها المسلمون، وأعدوا حملة كبيرة قضت على القاعدة الرئيسة للدولة الإسلامية بمنطقة جبل القلال.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً– المصادر العربية:

–القرآن الكريم.

–ابن الأثير الجزري (أبو الحسن علي بن أبي الكرم الملقب عز الدين) (ت 630هـ/ 1232م): الكامل في التاريخ، 13 ج، بيروت 1965م.

–ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر) (ت 367هـ/ 977م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، بيروت، 1982م.

–ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل) (عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي): كتاب صورة الأرض، بيروت، 1979م.

–ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) (ت 808هـ/ 1406م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 14ج، بيروت، 1968م.

–ابن عذارى (أبو عبد الله محمد المراكش) (ت بعد 712هـ/ 1312م): البيان المعرَّب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وليفي بروفنسال، 4 ج، بيروت (د. ت).

–الإصطرخي (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي) (ت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي): المالك والممالك، تحقيق جابر عبد العال الحسيني، القاهرة، 1961م.

–المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد المقري) (ت 1041هـ/ 1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب، 4 ج، القاهرة، 1302هـ.

–المؤلف المجهول: أخبار مجموعة، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، 1981م، وينتهي تاريخه بوفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر (350هـ/ 961م)، أخبار مجموعة، مدريد، 1967م.

–عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ط2، 1988م.

-علي المنتصر الكتاني: المسلمون في أوروبا وأمريكا، ج1.

-محمود شاكر: موسوعة التاريخ الإسلامي، م22 (ويكيبيديا).

-نجاة محمد الطلبي: ما بعد بلاط الشهداء، صنعاء، ط1 (1422هـ/ 2001م).

-ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي) (ت 626هـ/ 1228م): معجم البلدان، 5 ج، بيروت (د. ت).

ثانيًا- المراجع العربية والمعربة:

-أحمد مختار العبادي:

-في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت (د. ت).

-دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، 1968م.

-السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، بيروت 1982م.

-السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب: العصر العباسي الاول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2010م.

-أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة، 1960م.

-شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط.

-كيليا سازيللي تشركوا: مجاهد العامري قائد الأسطور في غربي البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري، القاهرة، 1961م.

ثالثًا- المراجع الأجنبية:

- Amarguier, P. A.:

La Capture de Saint Maieul de Cluny et L'expulsion des Sarrasins de Provence, dans Revue Benedietine, T. LXXIII, 1963, p. 316 – 323.

- Benoit, F.:

Document Historiques sur les Incursions des Sarrasins et des Barbaresques en Camargue au moyen âge, Dans Revue tunisienne, Tunis, 1932, pp. 301 – 306.

- Bourdon, L.:

Les Voyages de Saint-Maieul en Italie, dans Mélanger d'Archéologie et d'Histoire, Paris, 1926.

- Busquet, R.:
  Histoire de Marseille, Paris, 1978.
- Camau, E.:
  La provence à travers les siècles, Paris, 1920.
- Carpentier, J.:
  Histoire de France, Paris, 1987.
- Dufourq, Ch., E.:
  La Vie Quotidienne dans L'Europe Médiévale sous la Domination Arabe, Paris, 1978.
- Guth, P.:
  Histoire de la Douce France, Paris, 1968.
- Halphen, L.:
  Charlemagne et L'Empire Carolingien, Paris, 1968.
- Lacam, J. :
  Les sarazins dans le haut Moyen Age Fracais, Paris, 1965.
- Levi Provencal:
  Histoire du L'Espagne Musulmane, Leyde, 1932, 2 vols.
- Manteyer:
  La Provence du 1er auxll[em] Siècles, Paris, 1908.
- Poupardin, R.:
  1-Le Royaume de Provance sous les Carolingiens (855 – 944), Paris, 1901.
  2-Poupardin, R.: Le Royaume de Bourgogne (888 – 1038), Paris, 1907.
- Reinaud, J.:
  Invasions des Sarrazins en France, Paris, 1964.
- Rey, G. De:
  Les Invasions de Sarrasins en Provence, Marseille, 1878.
- Roux, J. P.:
  Histoire et Civilisation de L'Islam En Europe, Italia, 1983.
- Senac, Ph.:
  Muslmans et Sarvasins, dans le Sud de Le Gaule, (VIII – XI Sicles), Paris, 1980.
- Vasiliev:
  Byzance et les Arabes, Brauxelles, 1968.

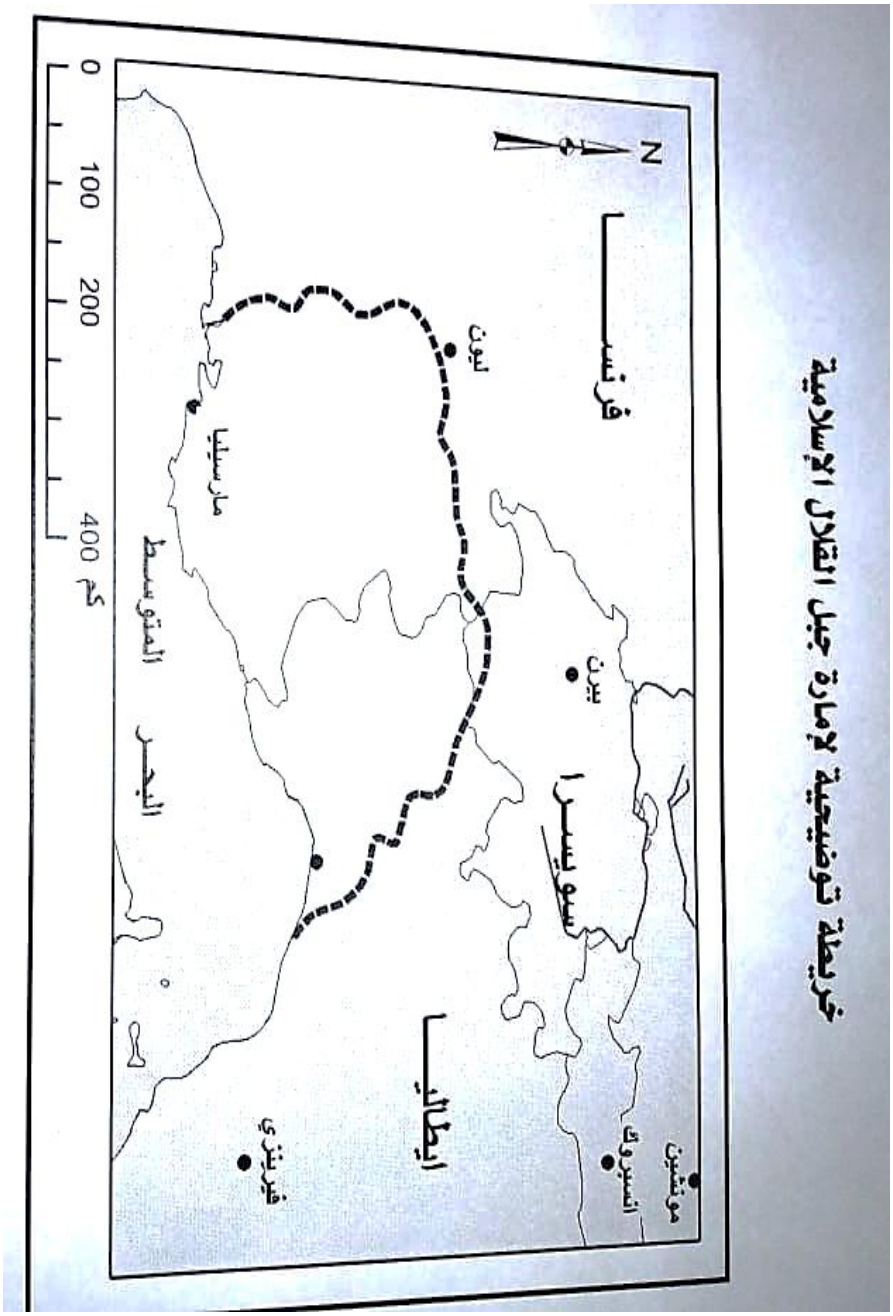
خريطة توضيحية لإمارة جبل القلال الإسلامية
N
فرنسا
ليون
مارسيليا
بيرن
سويسرا
مونشين
انسبروك
إيطاليا
فيرينزي
البحر المتوسط
0
100
200
400
كم